المادة 64

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بلميور
برج بوعريريج - الجزائر-
0774465958
035865297
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :978-9931-06-335-3
الإيداع القانوني : جانفي 2025.

فضيلة بهيليل

المادة 64

الكتابة هي أجمل ما بقي لنا في هذا الوجود
فلنمت بسعادة بعيدا عن القلق
تماما كما يموت الحبر سعيداً بعناق الورق..

"فضيلة بهيليل"

" قلة حياء"

صوت مطر يئن خارج المنزل، بقايا سهر بالغرفة، وشيء من الحنين يستأذن الدخول بعد ضربة برد، قلبي الضعيف سيسامحه وسيدخله مرة أخرى ليجلس بكل غروره قرب المدفأة سيجمع ذاكرته، ينفض مطر ذكرياتنا العالق بمعطفه، يضع غليونه بفمه.. يشعل موسيقى صاخبة كعادته ثم ينسل من بين الستائر كأن لم يكن. أتفقد خلفه النوافذ، أغلقها كي لا يتسلل إلي الحنين وأضغط زرا أسود فتختنق تلك الموسيقى الصاخبة التي تزعج هدوئي.

ليلة أمس كنا اتفقنا أن نذهب معا لمدير المؤسسة، لاشك نسي مرة أخرى فمسألة عملي لا تهمه كثيرا، جمعت ملف التوظيف حملت قلب امرأة أقوى مني تاركة قلبي الصغير بدرج خزانتي وللمرة الألف خرجت في رحلة بحث معقدة عن وظيفة أسدُّ بها جوع كرامتي وتقيني برد الإهانة.

كانت المؤسسة تستقبل كما كل يوم عمالها الدائمين في أوقات مختلفة من الصباح، وكالعادة تسير دون حضور المدير. سألت سكرتيرته الخاصة فتفحصتني قبل أن ترد، ثم عادت لتدس أنفها داخل تلك الملفات:

-" المدير غير موجود".

سألت بارتباك:

-" متى يكون بالمؤسسة؟".

-" لا أدري".

بقيتُ واقفة في ذهول، لتضيف وهي تشير إلى ساعة يدها:

-" لديّ عمل".

و بالأخرى تشير إلى ملفات تقيأتها خزانتها وأفلتت منها بعض أوراقها. لم يكن عملها منظما عكس ترتيب هندامها وخطوط ماكياجها الذي رسمته أعلى الحاجب والشفتين بدقة مدروسة.

عدت أدراجي، ككل مرة ألعن شهاداتي ودراستي والوظيفة التي لفظتني كلما خلتني أوشكت على الاستقرار فيها.

وبحي " المزطولين" ذاك، كان ينام متوسدا خصرها المدير يمرغ ما تبقى من رجولة بخياناتها، تلك التي حفظت كاميرا هاتفها ليلتهما العبقة بالمساومات وبالصفقات التي وقعاها على غواية سرير، فراحت تخنق حياته المهنية والاجتماعية بها إن فكر بخداعها كما فعل مع الغبية " صباح".

امتعض، انتفخت أوداجه، تصلبت شرايينه وانتفض ذات اليمين وذات الشمال، ثم لم يجد بدا من التوقيع أسفل قائمة الفائزين بالوظيفة وهو يرى اسمها ويقرؤه على مضض.

هرعتُ أحمل قلبي أو لعله هو من حملني هذه المرة حين سمع بإعلان النتائج، رحت أقرأ أسماء الفائزين الذين لا علاقة لهم بتخصص التوظيف. لم يكن اسمي حاضرا، كان هو الآخر هائما على وجهه، لا قائمة استقبلته ولا همتها نزاهته. كان بعيدا كل البعد عن معاييرهم.

استدرت حولي، رؤوس ملونة ... شفاه ماكرة... عيون ببريق غواية... ووحدي كنت أرتدي بساطة على مقاسي. أفلتتْ مني قهقهات عالية وسط ذلك الجمع، ما لبثت أن تحولت إلى ضحكات هستيرية جعلتني لا أعرف شيئا من منطق هذه الحياة الجديدة التي صار جلهم يعيشها بشكل عادي ورتيب.

غادرتهم أحمل وجعي وخيبتي ترافقني ضحكاتي، وخلفي نباح ينهشني من هنا وهناك لم يزدني إلا ضحكا وهم يصيحون:

-"كيف تضحك امرأة هكذا وبكل وقاحة؟ ... حقا... إنها قلة حياء".

"وردة بلا أوراق"

حين ننظر لأعماقنا بمرآة الحقيقة، ترعبنا تلك الشقوق والانكسارات التي سببناها لأنفسنا طوال سنوات غرورنا، باسم الحب تارة، وباسم الكبرياء تارة أخرى. ولأن السفر أنهكنا، نقف على قارعة الطريق مكتفين بالتأمل ونحن ندرك أنه ما عاد بالعمر متسع لترميمها الآن... ولا رغبة.

فتحت حقيبة يدي أفتش داخلها عن ظلي المنعكس بالمرآة كأنني أخفي أثر الكدمات إذ أضع يدي عليها وأسحب طرف خماري كي أغيب أثرها. تاهت يدي بين المساحيق التي اقتنيتها ذات تسوق بعناية، وضعت ما أحسسته أخفى شيئا من وجعي الموشوم بوجهي، حملت حقيبة يدي ومشيت نحو مقر عملي بخجل. تذكرت حين كنت أفخر بمشاعري الثلاثينية، يوم كتبت بدفتر يومياتي كذبتي التي كدت أن أصدقها، ورحت أمام الملأ أعرض كلماتها بإحدى الأمسيات الأدبية، وكلي شموخ وأنفة :

-"مشاعري ثلاثينية صارت... كبرت ... تعمقت نظرتي للحياة وزدت معرفة بقدر نفسي... نفسي التي ضعُفت أمامك و أهدرت كرامتها مرارا باسم الحنين... الآن... لم يعد غياب اخترتَه بإرادتك يذبحني كالسابق ويفنيني... يكفيني أن أضغط زر حذف رقمك

بهاتفي كي لا يردني الحنين، وأن أحرق رسائلك التي كانت مقدسة يوم كنت أحب بقلب عشريني صغير وطائش وساذج... أنا نضجت يا سيدي وعرفت أكثر قيمة قلبي الكبير... قلب امرأة لن تكون إلا هي.. امرأة فاتنة بمشاعرها وبكبريائها الذي أهداه لها تراكم تجارب بعمرها الثلاثيني".

لم أكد أستمتع بتفاعل الجمهور الغفير وبتعليقاتهم التي أمطرتني فرحا، حتى وجدتُ صديقتي مليكة أمامي، رافعة طرف خماري كأنما تفحص وجهي لتتأكد من شيء. كانت ترى شحوب لوني واحمرار عيني، لم تستغرب، ولم تسأل في غضب وتهديد كما كانت تفعل عادة وتتوعد. بل اكتفت هذه المرة بقولها:

- "حسبي الله ونعم الوكيل في زوجك المدمن يا وردة، لماذا لم ترفعي ضده دعوى قضائية أو يطلقك فترتاحي من هذا الهم؟".

لم أجبها، فهي تعلم أنه لن يطلقني ولن يخاف من تهديدي طالما سترني بالزواج على قول عمتي. ثم إلى أين أذهب؟.

سألتها إن كان المدير قد أرسل في طلب مواد التنظيف تجاهلت سؤالي غاضبة:

-" أن يسترك ليس معناه أن يذلك، أفيقي لنفسك، ثم إنك لم تذهبي للرذيلة بإرادتك، بل كان ذلك فوق طاقتك. لا بارك الله في الحاجة الزهرة، ورطتك وماتت".

ارتجفت لذكر عمتي الزهرة، عادت مرة أخرى صور تلك الأمسية المشؤومة التي أرسلتني فيها عند جارتها وأنا سعيدة بطبق السفنج ذاك، استقبلني زوجها الكهل وقد سال لعابه لعسل السفنج، فأدخلني طفلة مرحة لتبتلع رغباته براءتي، و أخرج من هناك وقد اختزل ذلك الكهل أكثر من خمسة عشر سنة من عمري،لا أذكر هل فررت أم تعثرت خطواتي وأنا أراني قد صرت شبه امرأة بطبقي الفارغ من كل شيء، و صوت عمتي الزهرة في فرح:

-"بصحتهم، أعجبهم السفنج أكيد".

كانت مليكة قد عادت لمكتبها حين رأت لامبالاتي. حملتُ أدوات التنظيف بعد أن ارتديت مئزر العمل الوردي الذي لم يكن يشبه اسمي ولا لون حياتي في شيء، أمسح أرضية المكتب وأنا أقول لمليكة :

-"هو لن يطلقني ولن يعاملني كزوجة ما حييت، هو فقط يريد إذلالي وإهانتي".

ثم أضفت :

-"حاله حال الذي قال: يا عَوْدِي[1] ما انْبِيعَك، ويا خَير ما انْدِيرَه فيك".

[1] عَوْدي : حصاني.

"طوق المحبة"

هناك أحلام نبنيها، وهناك واقع يدك تلك الأحلام دكا على مرأى منا، فنعجز حينها أن نكون كما نريد، ويصبح عالمنا مرهونا بما يريد هذا الواقع فحسب.

جلست على حافة الوادي أستمع لهديره مغادرا دون أن يلتفت إلي، ليس مهما أن يراني فأنا بالنسبة إليه لا أعدو كوني حجرا يتطفل على رحلته. فكرت كثيرا في المصيبة التي أقحمت نفسي فيها، مالي ولخديجة؟ لماذا تخفي رسائلها عندي؟ ، ثم إن أمها لا تجيد القراءة ولن تهتم لأمر رسالة يرسلها عاشق مسّه الجنون وطحن قلبه الهيام، فراح يلتقط كلماته ويدثر معانيها في حنو.

سحبت أصابعي من حافة الوادي أنفض ما علق من طين عليها، بينما كانت رسالة مصطفى لخديجة لا تزال مندسة كتميمة أحكم إغلاقها داخل جيب تنورتي. تحسستها مرات أطل على جزء منها ثم أعيد إرجاعها كأني أخفي جريمة كبرى. الحب جريمة لا تغتفر مهما صدقت النوايا. يكفي إثباته لينزل العقاب سريعا. ولا يكون الحكم عادلا عندهم ما لم يتم تفريق المحبين وبيع علاقتهم بثمن بخس.

تذكرت قريبتي حورية حين افتضح أمر حبها لسليمان ابن جارهم، فزوجها أبوها لشيخ كفيف كان يعد أيامه الأخيرة بسبحته عقب كل صلاة. بينما اعلنت خطوبة سليمان من طرف أمه، كأنما أعلنت بذلك عن انتصار ما وقد أطلقت زغرودة انتشاء بسطح بيتها، زاجة به في سجن زواج ما لبث أن فر منه، متأبطا رسائل حورية، تائها في صحراء تيميمون يعانق الريح التي تحمل له نسماتها، باكيا حبها بأرض لا عهد له بعرقها ونخيلها. يخط بسعفه كلمات كانت ترتلها على مسامعه كلما سرقا لحظات بالواحة، ليدثرها النخل ذُكّار حب إلهي امتدت إليه يد البشر فدنسته.

وعلى الأفق برق وغيم يداعب الريح، ثم يتركها أعلى الجبل تستريح. سارعت الخطى حين أرعدت، وبيني وبين القرية سنوات من العد التنازلي. لابد أن أعود سنوات للوراء، أنتعل جهلي وألج ببدائيتي قريتي. رحت أعاند سطوة الريح وسياط المطر، ويدي على جيبي تحرس الرسالة من البلل دون حتى أن أعرف محتواها يكفيني إخلاصا أنها كتبت لصديقتي ولم تكتب لي.

عند الباب استوقفتني حياة ابنة خالتي الكبرى التي أعجبها المقام عندنا فأضافت عطلة أخرى، وشى ارتباكي سرا ما فراحت حياة تسل رباطه بخبث حتى وقعت على يدي التي تقبض الرسالة بشدة داخل جيب التنورة. حاولت إبعادها ففشلت، اختطفتها

مني بعدما تمزق جزء منها، وراحت ترفرف بها عاليا كعلم، دون أن تدري أنها كانت ترفرف بقلبي الذي أوشك نبضه على التوقف خوفا.

بغرفة الضيوف راحت تقرأ الرسالة بصوت مرتفع، على مسمع من أخواتي و خالتي فتقهقهن ، وما علمن أن والدي كان ينام خلف الجدار القصير الذي اتكأن عليه تحتسين أحاديث المساء . لم أدرِ حجم المصيبة إلا ووالدي يهرول نحو ابنة خالتي بلحيته البيضاء التي غطت حروف شفتيه، ممزقا بوجهها الورقة .

كنت قد اطلقت ساقي للريح أخفي جزءا من الرسالة التي اختطفت جزءها الآخر ابنة خالتي بمزاحها الثقيل، وحين أيقنت أني صرت على مسافة أمان، جلست ألتقط أنفاسي ويدي تسحب الجزء المتبقي من الرسالة المشؤومة رغبة في التخلص من آخر دليل وبي فضول لمعرفة ما حوته.

انتفض قلبي لِما قرأته، وزادت دهشتي في اكتشاف هذا العالم الغريب الذي لا عهد لي به. لم أشعر إلا وشفتاي ترددان كنغمة سحر أول ما خط من الرسالة:

"الحب -أعزك الله- أوله هزل وآخره جِد دقَّت معانيه لجلالتها عن أن تُوصف، فلا تُدرك حقيقتها إلا بالمعاناة"[1].

[1] من كتاب"طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي.

"صباحك سكر"

أحاول أن أكتبك، فلا أجد حرفا يُطيعني فيك. أحاول أن أراك فلا أرى إلا طيفك بمرآتي، مبتسما، معلنا عن بداية فصل الشتاء... جميل هو الشتاء محمّلا بصيّب قصائدنا.

هذا الجو يشبهك كثيرا...

لا هو غيم، ولا هو صحو.. مزيج بين حزن وزهو...

لا أدري كيف تركتُ أبواب معاجمي مفتوحة حينما كان يجب أن أرمي مفاتيحها؟ ولا لماذا أتعمد إغلاقها الآن وأنا أدرك أكثر من أي وقت مضى أن حروفها منك.. ومعانيها تسري بدمك.. تماما... كما بدمي قبلك سرت..

أبدا، من قال إني أتعمد إغلاقها دونك؟، إنما أتظاهر بمكر أنثى تحاول أن تستفز ضجيج صمتك ليس إلا.

كل القضية بيننا كانت قصيدة، وكل الوثائق التي جمعتنا كانت بدايتها وشاية، وقّعها حرفان تائهان... واحتجبا عن كثب يرقبان ما سنكتب دونهما. حاولتُ أن أبدد شكوكي باتصال، فرنّ القلب من هناك يجيب:

-"من؟".

-"أوَيسأل قلبك؟!"

كيف لم يستطع أن يتعرف على نبرة قصتي التي أكتبها لك بمذاق فنجان قهوة كل صباح؟، وقبل أن أقول لك شيئا أجدك ترسل لي:

-"صباحك سكر". دون أن تدري بأني قد بدأت أخاف ارتفاع السكر بدمي، تماما كما أخاف انخفاضه بقلبي.

أرد مازحة:

-"وصباحك عسل بدون سكر".

سألتني مرة أخرى برسالة نصية حطت على هاتفي عن مكان تواجدي فأجبت:

-"أنتظرك... أنا بدار الثقافة"، عقّبت مازحا:

-"وأنا بمحو الأمية"

ضحكنا معا وكل منا يُقبِّل بنظره شاشة هاتف لا تزال رسالته مفتوحة ليتفرج من خلالها على موعد قريب.

"إني وضعتها أنثى"

ها أنا بعد خيباتي المتتالية، امرأة منهكة متعبة تحاول الخروج بأقل الخسائر الممكنة وبأقل الجراح. تدرك الآن أنها صارت أقوى صارت أكثر تحملا للخذلان، امرأة تعرف كيف تستغل أحزانها. علمتها الحياة أن تقول "نعم" حين تشاء وأن تقول "لا" حين تشاء أيضا. ألا تنحني للمساومات مهما ضاقت بها الدنيا، أن تظل شامخة كنخلة ممتدة الجذور ..عالية ..، لا تنظر إلا للسماء.

شاكرة لكل من ترك بصمة بالقلب وأيضا لمن ترك جرحا بالقلب، ففي النهاية الجراح دروس أيضا، شاكرة لك أنت يا من كان يوما أنا، فقد علمتني أن الصدف كذب، وأن تلاقي عقارب الساعة لا يدل على أن حبيبك يفكر بك وجعلتني أستفيق من وهم التخاطر كلما رفت جفوني دون سبب أو كلما أرسلت رسالة لمن أحب و أرسل هو في الوقت نفسه رسالة حب.

كنت أبني عالما مستعارا وهميا وكنت أنت تهدم كل ما بنيت بلحظة كبرياء؛ لحظة كبرياء كان بإمكانها قتلي وغسل كل معتقداتي. من يومها ما عدت أومن بالصدف وأنا امرأة تمشي على حواف الأقدار، تقدس الوقت، فتقتلها الصدف.

أذكر أن أول كلمة سمعتها منك قبل زواجنا، وأنا أراقص فرحة لقائك وأتفقد خاتم خطوبتنا بإصبعي، كأني أتأكد من أنني لست في حلم. قلت:

-"أنتِ لي"، وبفرح أنثى أجبتك:

- "وأنتَ لي" .

تزوجنا.. تهنا ... جننا.. ثم في غفلة ضاع منا خيط الحلم. تبددت تلك الابتسامات وصار وجهك باهتا على مرآتنا. كنت لا أتوجه للمطبخ دون أن أقف طويلا أمام المرآة أصفف شعري أضع أحمر شفاه وأكتحل.

الآن..صرت أذهب للمطبخ بلا نَفس لأبتلع كما غصة خلافات مع والدتك. أعد طعاما بشهية ميتة وبحماس أقل من ذاك الذي كنت أبديه وأنا عروس. ما عدت أنتظر مجيئك خلسة إلى المطبخ كلما اشتقت إلي، ما عدت أنظر من نافذتها على طيفك. شيء ما أحسه انكسر، أحسه بدأ يخفت، شيء ما جعلني لا أحب الجلوس معك، لا أستسيغ حديثك، لا أحب عطرك. لا أهتم لحكاياتك بعد يوم شاق وطويل تقضيه في العمل وأقضيه أنا في طهو أطباقك المفضلة.

شيء ما يشعرني بأنك بعيد جدا، بأنك لست الرجل الذي أحببت، لست الفارس الذي سرقني ذات شوق من الجامعة وجعلني كمجنونة تركض تحت المطر غير آبهة للناس بالشارع.

فلا أحد كان بعدك يستحق أن أراه. حتى سريرنا... غاب ضجيجه.. خفت نوره المتوهج الذي كنا نشعله بطرفي السرير. كان المصباح داخل البطة الرخامية ينشر أشعته المغرية على السرير وعلى وجهينا الباسمين العاشقين. صرت أسبقك للنوم أرمي تعبي غير آبهة لفستان السهرة، فلا سهرة الليلة ولا عطر. يكفي أن أدفن رأسي بوسادتي... وكطفل يتيم..أنام.

لم تكن أقل مني حزنا وتعاسة . تغيرت مثلي.. ازددت صمتا.. وصار حديثنا يتوقف على ما نحتاج فقط وما نريد، وكأننا ما كنا يوما عاشقين. اتسعت بيننا المسافة أكثر فأكثر وعاد الروتين يطحن ما تبقى من فرح. كنت حبلى بطفلنا وكان هو عزائي الوحيد. ثمرة حب ظننا يوما أن عواصف الدنيا لن تحطمه وإذا بنا ننكسر عند أول ريح تهب. نتفرج على شظايانا وباسم الكبرياء لا أحد منا يبادر إلى لمّ تلك الشظايا.

اتسعت المسافة، صارت مسافات، وطال الصمت فصار هجرانا قاتلا. ما أصعب أن تهجر نصفك بل كلّك وتدعي بأنك من دونه لا تزال بخير. ما أصعب أن تكذب على نفسك وتتظاهر بأنك تستطيع أن تكون من تريد دونه.

مر الوقت سريعا وطفلنا يكبر داخلي . كنت أحسه غاضبا مني؛ من معاملتي لك، من هجراني. كنت أحسه ينقر على جدران بطني

ليفر إليك مثلما كنت في ليالي الشتاء أفر إلى حضنك وأدفن روحي بروحك.

بعد أشهر، وصلتني ورقة من المحكمة. وردت حينها ببالي كل الاحتمالات... كل الاحتمالات في الدنيا إلا أن تكون تلك الورقة هي ورقة طلاق... ورقة تنهي بإمضاء واحد ما كان بيننا من سنوات ورقة شبيهة جدا بشهادة وفاة شخصيتنا القديمة وولادة أخرى.

اشتد الألم.. طفلي ببطني ذبح حبله السري ألم تلك الورقة وجاء المخاض قطعة من عذاب رهيب. ولادة لطالما حلمنا بها معا لطالما أعددنا لها ووضعنا كل احتمالات أوقاتها. لحظة رسمناها قبل زواجنا ودفنا فرحتها بعد انفصالنا.اليوم متأخرة جدا أكتشف أن كرهي لك كان مجرد وحم و أنك عدت ذلك الرجل الذي أحببت أيام الجامعة، لتأتي تلك الورقة فتمزق كل أمل في اللقاء، وتشهد على أنك لم تكن الرجل المثقف الذي ظننت، تدرك معنى "وحم" ومعنى أن تكون مسؤولا عن طفل وأم.

أقول لك و المسافات تقهرني... والمسافات تغلبني... والمسافات تزداد بعدا وبعدا :

"مبروك...إني وضعتها أنثى".

"ربطة عنق"

ها أنا أعود بقلب مرهق وذاكرة يثقلها الفراغ. أبحث كما طائر ضل الطريق عن صديق أزين له بحواشي الندم حزني. لم أجد قوت يومي فقد قرر عميد الكلية خصم راتبي هذا الصباح لمجرد أني نهته لربطة عنقه المقلوبة. وأهانتني الجارة قبل قليل وأنا أعود مرهقة لمنزلي قائلة إنني أتعمد وضع أكياس الأوساخ بطريق زوجها، ذلك الذي لم يكن سوى العميد صاحب ربطة العنق.

أسرعت بالهروب لمنزلي، فرأسي كان أشبه ببالون نفخه الغضب، وأرهقت قلبي مناظر البؤس والحرمان بمدينتي التي نكبتني وأنا على قيد الحياة، فصرت على قيد الوفاة حبا فيها ولأجلها دون حتى أن تدري ذلك.

وأنا أضع رجلي بعتبة المنزل منشغلة بالبحث عن مفتاح سعادتي المفقودة حتى سمعتها تصرخ:

-"أخبرني من هي أيها اللعين؟ كيف أنفقت راتبك كله لإرضائها كيف؟".

وواصلت شتمها وسبابها بصوتها الخشن الذي أدركت دون أن ألتفت أن اللعاب لاشك تطاير معه فزاد من تقززي وحنقي.

لم أسمع له ردا، كان صوته يختنق ويخفت كلما حاول أن يقدم تبريرا، تلميذ فاشل لا يحفظ دروسه فاجأه الأستاذ بفرض فجائي فارتبك.

دون شعور مني التفت ورائي بفضول، أو ربما بشفقة أيضا على هذا المسكين الذي لم تترك له زوجته وصفا قبيحا إلا وأضافته لقاموس علاقتهما، دونما اهتمام لعيون المارة التي أخذت تسترق النظر وتحول موجات آذانها لتلتقط بعضا من اللعاب المتطاير رفقة صوتها المتحشرج المبحوح.

مثلهم ركزت نظري على مصدر الصوت لأراه أمامها منكسر القامة، يحاول ترتيب قميصه الذي تبعثرت بعض أزراره على الرصيف وهي لا تزال تشد على رقبته بتلك الربطة... لقد كان هو..أجل..هو ذاته الذي نهته هذا الصباح فخصم راتبي.. إنه صاحب ربطة العنق...

"روتين"

لم يكن همي أن أشبه أحدا حتى أنت. كان همي فقط هو أن أجدك مابين ألف شخص وشخص. كنت أتوقع أن نتشابه في أمور كثيرة، وأن نشترك في نقاط كثيرة وأن تجمعنا حالات ومشاعر كثيرة، لكن حين التقيتك لم أصدق. كنت عكسي في كل شيء ، تكره ما أحب وتحب ما أكره. ترى غير رؤيتي، تبهجك أخطائي فتمشي عكس طريقي.

كنت حين أجلس بالحديقة أتأمل وريقات الأشجار، أحمل بكفي قطرات المطر، أمشي بمرح طفولي بينما ترتبك أنت حين ترى فرحي، تحاول أن تعكر مزاجي وأنت تسخر من حبي أوراق الشجر.

كان همك ألا أتأخر عن موعد إعداد الغذاء، وأن تنام على الساعة العاشرة والنصف ليلا بعد روتين العشاء وتحضير محاضرة الغد. حتى سهرة الأسبوع كنت تحرص على أدق تفاصيلها ، شاي بعد العشاء، حبات لوز مملحة وفِلمٌ لا يزيد عن الساعة والنصف، ثم ننام.

كنت عكسك... أعيش بعفوية وبفوضى جميلة... لا يهمني أن أنام مبكرا قدر اهتمامي بمتعة سهرة لن تتكرر، ولا يهمني إن لم

أتعش على التاسعة والنصف، يكفي أن أتناول كوب عصير وحلوى بالفانيلا، كان هذا يبعث داخلي فرحا عميقا بانتصار ما.

أذكر كيف رميتَ على الأرض ملابسي التي تركتها البارحة فوق الطاولة، يوم استفقتُ على التاسعة بعد ليلة قضيتها بعرس قريبتي لم نذق فيها طعم الراحة. كان همك أنت أن تجهز القهوة بمعادها، وأن يُرتب المنزل بوقته، وأن يمضي اليوم بروتينه وكآبته ونظامه.

رميتَ محفظتك بعنف على الأريكة كي توقظني. فزعت... نظرت إليك بكامل أناقتك أوشك أن أقول "صباح الخير". لم تترك لي مجالا، أمرت زاجرا:

-"أين قهوتي؟".

لم أستوعب، كان الصداع يخرب كل لحظة صفاء بذاكرتي، والتعب قد نال من جسدي المتهالك على السرير. أجبتك وقد بدأت أضجر منك ومن تصرفاتك وتسلطك الدائم:

-" سنشربها معا يا عزيزي، سنشربها... لكن هذه المرة بالمحكمة لا بالمطبخ".

ثم نهضت غير مبالية بما حدث بعدها. أجمع حقيبتي وذكرياتي وأنا أدرك أنه لا مكان لي مع رجل لا يغير بحياته شيئا ولا تهمه المشاعر والعواطف، كأنه نسخة مكررة أراها كل يوم بشكل مقرف يبعث على الجنون.

"المادة 64" [1]

مثلك لا

يحزن...

مثلك يتفرج

فقط

بلا مشاعر...

على أحزان

الآخرين

---

[1] ملاحظة: المادة 64 (معدلة)الأم أولى بحضانة والدها، ثم الأب، ثم الجدة لأم، ثم الجدة لأب، ثم الخالة، ثم العمة ثم الأقربون درجة مع مراعاة مصلحة المحضون في كل ذلك، وعلى القاضي عندما يحكم بإسناد الحضانة أن يحكم بحق بحق الزيارة.
(عدلت بالأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005(ج.ر 15 ص:22)
حررت في ظل القانون رقم 84-11 المؤرخ في 9 يونيو 1984 كما يلي:
الأم أولى بحضانة ولدها، ثم أمها، ثم الخالة، ثم الأب، ثم أم الأب ثم الأقربون درجة مع مراعاة مصلحة المحضون في كل ذلك، وعلى القاضي عندما يحكم بإسناد الحضانة أن يحكم بحق بحق الزيارة.

لازلت يوما بعد آخر أتدحرج على طرف هدبك، ويزداد يقيني أن جفنك يكاد يلفظني، لم أعد أدري بعد في أي اتجاه سأهرب بحزني الذي جمعتُه قهرا، ولم تعد عيناك تسجنني . وحدي وقلبي نراوغ الذكريات، نوهم بعضنا أن بالعمر بقية اشتهاء لأمسيات صيف عانقت سمرنا وبعثرت أوراقه ريح غضب أتى مستعجلا يلوح بقساوة على قلبينا وقد أرهقهما السهر.

اكتشفت بعد عمر من وهم الحب أنني لم أكن أفعل شيئا ولم أنتقل خطوة واحدة نحو الأمل كما أوهمت نفسي، كنتُ كعرّاف يضرب بعصاه جزافا فيلفظ الرمل سطور وهم تعانقها الريح ليمحو ما كان قيل قبل أن يزورنا خنجر الرحيل ويتعلق ابننا "بدر" بما تبقى من ابتسامتك التي ما عادت تشبه أبدا ابتسامتك.

لم تكن أبدا تشبهني أو تشعر ببعض حزني، كنتَ تشبه فقط لعبة طفولتي المصنوعة من قصب، تتفرج على دمعي ووحدتي وتعجز يدك المبتورة أن تلتقط حزني لتدفنه بجوار أمسيات ذكرياتنا تلك، فسلام على قلب أخذ أكثر مما أعطى ومما يستحق فعاش النعيم رقصا على شظايا قلبي الذي كمدا صار يغرق وأنفاسه بالخطايا تضيق.

أدرك كما الجميع، أنني عبثا أحاول أن أعيش قصة حب جديدة، وأن لقلبي حق استنشاق أوكسجين غير الذي كنت تمده إياه، ولكن تقف شامخة في وجه قلبي المادة 64، حتى لكأنني

انتعلها أنى ذهبت، غير أنني وبعد فشلي مرات ومرات أشحت بوجهي عنها خشية أن يَصدق حدسي فيتربع الرقمان ببهو منزلي ليدُكّا فرحتي الموؤودة بأقدام مادة لم تعنها يوما مشاعر أمومتي.

كان قدري الثاني خَجِلا، تعقد مشاعره ابتسامة طفولية مني وعلى أنقاض خطيئتي الأولى بنى عرش حبنا الذي بدأتُه مرة أخرى بقلب كله لهفة وحب يكفي لآخر أيام العمر.. كان اسمه "عُمر".

شهران كفيلان بولادتي، تخلصت من هويتي القديمة "مطلقة"، رميت كل ما رآه الناس "عاراً" بقمامة عقولهم، ومثلي "عمر".. إكراما لي... فعل.

وجلس الحزن على حافة الشرفة يرقب بهدوء سعادتنا، ألمحه بين الحين والحين يشيح بوجهه عني كأن لم يرني، أبصره من تلك الجدران النّدية بمطر ليل شتوي طويل، أطَلّ كما لو أنه قريبا سيصل. نبّهتُ عُمَري وأنا أهز كتفه:

-" أنظر ! أتعرف من ذاك الغريب؟".

ودونما اهتمام أجاب:

-" لا أظنني أعرفه".

وواصل كنس شرفتنا من تلك البقايا التي خلّفها المطر... مطر... مطر... مطر..، كان يحدثني عن رحلته الباريسية وكيف أن النساء هناك دمى خلقن للغواية لا غير، حدثني عن عطور لن يصل عبيرها ها هنا، ولم أحدثه سوى عن القحط والجفاف

الذَين حلاّ بمدينتي، عن الجراد الذي أكل كل أخضر جميل غير آبه للخراب الذي خلّفه. وما دريت أن قدري الأول كان يرقب عن كثب سعادتي بانتظار أن يشهر بوجهي سلاحه الذي رخصه له قانون الأسرة ذات سنة جفاف.

استفقت على طرق متواصل بالباب، كان عمر قد تسلل من الغرفة باكرا كي لا يوقظنا، وابني بدر الذي زارني أمس لا يزال يغط في نوم عميق، قد تدلى جزء من غطائه على الأرض. رميت بعشوائية خماري المعلق خلف الباب ورحت أسأل:

-" من؟".

-" زهرة محمود؟".

فتحت وأنا أفرك عيني لأزيل بقايا نعاسي:

-" أجل، أنا هي".

رد وهو يناولني قلما ودفترا أمضي عليه استلامي تلك الورقة ليبدد دهشتي:

_" لديك جلسة بالمحكمة الثلاثاء المقبل".

لا أذكر كم من الوقت مضى على وقوفي عند الباب، ولا كيف فضضت الظرف ليظهر خط عريض أسود يتوسط تلك الورقة شكلت حروفه المستفزة كلمة "استدعاء" لترتسم بذاكرتي تلك المادة اللعينة بحياتي، كوشم فشلت مرارا في مداراته وتغييبه.

هرعت لغرفة بدر أقبّله وأحضنه باكية كأنني لن أراه بعدها ولساني لا يكف عن إرسال شتائم ولعنات لوالده الذي انتظر كل هذه السنوات متربصا لفرحي، ها هو يشبع انتقامه وهو يرى انتصاره الأبدي بهزيمتي، أن يطالب بحضانة بدر بالنسبة له لا يعني أكثر من رؤية بؤسي وشقائي. ما همّه بدر ولا كيف يعيش، ما همته نفقته التي أهملها شهورا وسنوات، وحبا في ابني وفي إراحتي وإياه من الشد والجذب بالمحاكم تغاضيت عنها، كنت سأرتاح لو كان لوالدتي حق حضانته بعد زواجي، بالنهاية هي من تولت تربيته معي. لم يكن يفهم كل هذا، كان همه فقط هو أنا.. أن أندم على كل لحظة فكرت فيها بحياتي الحقيقية بعيدا عن عالمه الموبوء بالانتقام والأنانية .

غابت شمس ذلك اليوم كغيمة مثقلة رحلت ونست أن تمطر رحل عمر...لأجل أن يبقى بدر.. فوجودهما معا بحياتي كان ضربا من المستحيل. وعُدتُ أنا المرأة ..الأنثى المعطوبة، أحمل عاهتي على كتفي بعدما بترت تلك المادة قلبي، وعدتُ مرة أخرى لبدائيتي الأولى وكما يحلو للجميع نعتي:

"مسكينة... مطلقة".

"نوايا"

ملأ صراخها الحي مستنجدة، وما أغاثها أحد، الكل يتلصص على مصدر الصوت حتى بدا واضحا من أي عمارة هو آت. عيون من الشارع، من النوافذ والأبواب، صوت ارتطام لم تكتمه الجدران، وأنين يتوسل حجر.

على الأرصفة رجال بهيئات مختلفة يغريهم بكاء امرأة لكنهم لا يهبون. قال أحدهم متخفيا وراء حقده:

-" لاشك قامت بفعل شنيع. دعوه يؤدبها".

هز الآخر رأسه كبومة يفتش عن القائل مستأنسا بتحليله. بالجهة المقابلة ألقى آخر بفتواه:

- "لا شك مسألة خيانة، تستحق الزانية !".

واختلطت أصوات الإدانة من كل صوب، تخالهم من فزعتهم رجال وما هم كذلك.

نصف ساعة ألم مضت مضغ فيها المتفرجون اتهاماتهم، انتقدوا، حللوا، شتموا، وفي الأخير حكموا على الزانية بالموت ضربا . وصلت الشرطة بعد اتصال من جارتها لتلقي القبض على الزوج المدمن ذي السوابق، بينما انفض الشارع وخلا إلا من رجل عجوز ظل يردد:

"تخلطت[1] ولا بغات تصفى، و لعب خزها[2] فوق ماها".

[1] تخلطت: اختلطت.

[2] خزها: يقصد بها الطفيليات الطافحة فوق الماء.

"حلم في مهب الريح"

كان صعبا علي أن أولد أنثى في مجتمع قبلي لا يراني إلا جسدا. أبسط حقوقي عنده جريمة. لم أكن أحلم بالكثير، فقط أن أدرس كما درس أبناء وبنات حيينا، أن أعانق أحلاما بحجم محفظة وألبس مئزر العِلم.

لا أذكر كم ليلة تسللت إلى الكيس الذي أخفيته تحت طاولة الأغطية، ولا كم مرة غفوت على حلم أن أستيقظ صباحا وصوت أمي يناديني للذهاب إلى المدرسة. كان الجميع يراني جسدا إلا أنا كنت أراني كيانا كاملا، فرُحت بفرح أرسم لي مدرسة ومعلمة وصديقات. نسيت حلم التقاط صورة لي عند مصور المدينة الوحيد ، يوم وعدتني خالتي بأن نذهب معا فارتديت أجمل ما كان عندي من ثياب، وبقيت أتحسس دقات الباب التي تستبق دقات قلبي ، حين وصلتْ خالتي بكامل أناقتها كانت أمي تقف أمام باب الغرفة تقسم أمامي بأغلظ الإيمان إن ذهبتُ مع خالتي فسوف يقتلني والدي.

انزويت يومها، بكيت، لعنت أنوثتي وحياتي التي لا تسير إلا كما يريدون فقط لأنني أنثى. لم أنس ذلك اليوم أبدا، بقيت أنفث غضبا كلما أعادت خالتي فتح ألبوم صورها أمامي. حتى هذه

الأمنية نسيتها أمام أن أحظى بفرصة التعلم. دخولي المدرسة أكبر أمنية وأجمل حلم انتظرته أن يتحقق.

كانت الشمس تعبر باب غرفتنا صباح مساء، والشجرة التي تحرس منزلنا قد شاخت، وما شاخت أحلامي. ظلت أدواتي ترافقني وفرصة تحقيق حلمي تقل سنة بعد أخرى... وها أنا كبرت كما أرادوا، على مقاسهم ألبس جهل العادات وأتزين رغما عني بطقوس كثيرا ما سخرت منها بداخلي ومن سذاجتهم في تقديسها.

كبرت ، لكن غصة في القلب ظلت تخنق نبضه . وكبر إخوتي فما تردد والدي يوما في تعليمهم. وحدي ودفتري بانتظار معلم يعلمني كيف أخط أول حرف بدفتر الحياة بعد أن عجزت أن أخط كما حلمت حروف اسم لم تعد له في هذا المكان هوية أو أهمية أو حتى انتماء.

من خلفي انبعث صوت الموظف وهو يقتطع لي تذكرة السفر وددت لو كان باستطاعتي قراءة اسم الحافلة لأتوجه إليها مباشرة كما كان جل المسافرين يفعلون حين توضع التذكرة بين أيديهم. وزاد من إحراجي صوت القابض وهو يطلب مني التذكرة ليوجهني بعد أن قرأ اسم حافلتي التي أحمل تذكرتها وأنا عاجزة حتى على فك طلاسم حروفها للتعرف عن اسمها.

"مسألة جمال"

بالحافلة.. أرقب في ضجر تصرفات الركاب، بجوار طالبتين مذ انطلقت رحلة السفر لم يتوقف حديثهما عن الأساتذة. واضح أنهما على وشك المناقشة أو إحداهما. قالت التي بجواري:

-"أثناء المناقشة دعي الأستاذ يسأل ، إياك أن تردي ولو بكلمة حتى لا تستفزيه فيحقد عليك".

ترد صاحبتها في ثقة مصطنعة:

-"أجل سأدعه يتكلم حتى يمل، دون أن يلقى مني ردا".

تحدثتا ولا تزالان بين نصائح وطرائف. أزعجني صوتهما المسموع كأنهما تريدان أن يسمع الجميع كلامهما. كنت كلما سافرت أحس أني أكبر بين رحلة وأخرى، أني أتماثل للشفاء رغم كل الندب التي ظلت بالقلب. أجدني لا أجيد شيئا غير بشم الغيوم لعَلي أعثر على قطعة مفقودة من قلبي غادرت هناك. السفر يجعلني أفكر، أعيد ترتيب الأشخاص بحياتي وترتيب ذاكرتي .وحده جلوس أناس مزعجين يضيق مساحات تأملي وحلمي.

على يميني فتاة طول الطريق تصارع ستار النافذة المفتوحة الذي راقصه هواؤها، فأزعجتها أشعة الشمس المتسللة من الستار الهارب لتطلب من الراكب أمامها إغلاقها.

بلا تردد فعل الرجل. تساءلت في صمت: " غريب، كيف لم يناقشها وأغلق النافذة على الفور؟ كان يكفيها أن تتكئ على جزء من الستار ليستقر كما نفعل عادة حين نجلس قرب نافذة مشرعة".

الجو حرّ، والضغط داخل حافلة متخمة بالركاب لا يطاق مزيج من العطور ومن روائح كريهة تنبعث من أرضية الحافلة. رغم ذلك ظل حريصا على راحتها. يسألها إن كان فتحه لجزء صغير من النافذة لا يزعجها. لم يتردد في مد الستار كلما هرب به هواء النافذة، نظرتُ إليه، ملامحة البدوية تزيده بساطة ويعكس ذلك صبره وتحمله .

كان الجميع يتذمر بصوت عال ليسمعهم سائق الحافلة ويستنكرون عدم اشعاله جهاز التبريد في عز فصل للحر.. إلا ذلك البدوي... ظل ممسكا بالستار كي لا تنفلت منه أشعة الشمس فتزعج الجالسة يميني.

على الجهة الأخرى طارت الستائر وخصلات الشعر. فجُل نوافذ اليسار مفتوحة، كذلك بعض نوافذ اليمين، إلا تلك التي تجلس بمحاذاتها الخائفة من الشمس، وكذا النافذة المجاورة للبدوي الجالس أمامنا.

مثله كنت اعتدت أجواء الحر بعدما قضيت سنتين من العمل بأدرار. كان يبدو هذا الهواء عاديا مقارنة بصهد أدرار الصيفي ولم يكن كذلك لركاب هذه الحافلة. طلبت من الفتاة فتح النافذة بعدما أشفقت على ذلك البدوي الذي كان يبتسم لنا في ولاء وكأنه يسألنا إن كان أتقن مهمة شد الستار. أجابتني قائلة :

-"أنا أيضا أكاد أموت من شدة الحرارة مثلكم، ولكني نهضت متأخرة هذا الصباح ولم أجد وقتا لوضع كريم الوجه الواقي من أشعة الشمس، لذلك أخشى على بشرتي. فمعذرة أختي لا أستطيع فتحها" .

عدت أقلب في هاتفي بعشوائية أكتم غصة وضحكة وشفقة على هذا البدوي المسكين الذي -دون أن يدري- ظل محافظا على سلامة بشرتها من الأشعة ظنا منه أن الأشعة تؤذيها، ولم يعلم أن الأمر لا يعدو كونه مسألة جمال ليس إلا

"رسالة إلى صديقي"

ليس لنا يا صديقي غير هذا العالم الافتراضي أو الوهمي الذي احتوى أحلامنا على بساطتها، لم يعد هواء هذا العالم يسع رئتي ضاقت المنافذ إلى الفرح وما وجدت غير خيط دخان كنتُ أعجنه لأمل لقائنا... لقاء يتجاوز الزمن فقط ليعيش رفقتنا... ليزهو بأحلامنا... ويزهر تحت رعاية أناملنا وحروفنا المتخمة بالوجع.

لم يكن أمامي خيار آخر، فقد راسلتك مرارا، متوهمة أن في العمر بقية شغب وشغف، وأننا نبوح كلّما تجاوزنا ذواتنا لنقول ما لن تقول بحضرتنا .

أذكر فرحة أول لقاء بالقدر، يوم أهداني الربيع وردة، لثمتها ضممتها، سقيت كل عاطفتي بحضورها طرفا مُلحّاً. وحين شممتها لم أجد عطرا، كان دخانا لفظته آخر أيام براءتي، ورحت دونما انتباه لوجعي... أنتف وريقاتها البهية رغم الحزن، قائلة في سرّي... موشوشة بأذن عمرك كلمات فاروق جويدة:

"لماذا أراك على كل شيء

كأنّك في الأرض كلّ البشر"..

آه... يا صديقي... فقط لو كنت قبلا التقيتني...

"على حافة الوادي"

واقفا مذهولا أحمل بيدي اليسرى كيسا أزرقا به أدوات ابني لدخوله المدرسي الجديد. كان البرد يتسلل إلى يدي و رهبة الموقف تزيد من خوفي على ولدي. لم أكن وحدي أقف على حافة الوادي الذي زارنا أمس وهو يتلوى كثعبان أزعجه البشر، ففاض عن الجسر الصغير وعزل الحي الجديد عن باقي أحياء المدينة.

أمطار موسمية مصحوبة ببرد جعلتنا نكبّر ونحمد الله على غيث رجوناه. كان رجال الحماية المدنية يشكلون سدا وسط الواد الذي خف جريانه اليوم، بحثا عن الطفل "أمين" ذي الثماني سنوات، جرفته مياه الوادي حين كان ذاهبا للمدرسة رفقة أخته يقولون انزلقت رجله بحافة الوادي فسقط. تبعته أخته مستنجدة، غير أن الثعبان كان قد ابتلعه وأخفاه داخل جوفه فغاب عن الأنظار نهارا بأكمله وليلة حالكة مرت على سكان المدينة كأنها سنة، الكل يتحدث عن أمين ، أين تراه صار الآن وبأي أرض يبيت؟

وصل إلى أذني صوت شاب يحدث صديقه ويصف له حال والديه وأهله وهم يعلمون أنه بات ميتا، لكن لا يعرفون أي حجر اعترض طريقه وأي حفر. بقينا واقفين على حافة الوادي أكثر من

ساعة ونصف، نراقب عمال الحماية المدنية الذين باشروا البحث عن أمين فور وصول البلاغ. وقد قطعوا ما يزيد عن العشرة أمتار يفتشون تحت الأرض، ونحن بعيوننا وقلوبنا نتابع مبتهلين متضرعين لرب السماء.

كنت نسيت أن أعود إلى المنزل وقت الشاي المسائي، ونسيت لهفة ابني خالد على الأدوات الجديدة التي أحملها له، كان العثور على جثة أمين يشغلني عن كل هذا كما باقي سكان المدينة. حركة غير عادية من رجال الحماية انتبه لها الجمع الواقف على الحافة فهمنا بعدها أنهم عثروا على أمين! .

رعشة سرت بكامل جسدي، ورجفة لازمت يدي، وخوف لم أستطع تحديد سببه أكان خوفا من الموت أم من رؤية جثة طفل صغير بات بمياه الوادي الموحلة. ارتفعت التكبيرات من كل جانب وعلا الصياح والنحيب وهم يرفعون أمين بعد أن غطوه من رأسه إلى ركبته بقماش سميك أسود، بينما برزت ساقاه النحيلتان وسرواله البني المائل للاخضرار من بين يدي رجل الحماية.

بسرعة أحاط به رجال الحماية ليضعوه في السيارة وخلفه أمواج من البشر يبكون بحرقة "أمين" شهيد العلم. كنت جثوت بمكاني وصورة ساقيه لا تفارقني، ازدادت دقات قلبي وبكيت كما الحاضرين وأنا أرى صورة ابني. نهضت مسرعا إلى بيتي أين يجلس

خالد مبعثرا ألعابه، تبسم حين رآني وقد قفز من مكانه يحضنني ويقبلني كما اعتاد ذلك عند عودتي .

احتضنته بكل الحب في قلبي وكأني أخشى فقدانه، وأنا أدعو الله أن لا يفجعني في ابني ولا يرني فيه بأسا ولا مكروها.كان هو انسل من بين يدي وقد أخذ مني كيس الأدوات، بعثره على الأرض منبهرا، وأمه قد أتت بملامح حزينة تسألني عن أمين وعن أمه وأهله، بينما والدتي تمسح بمنديلها دمعات تتاثرت حزنا وهي تدعوا ككل أم تعرف معنى فقد الولد :

-" اللهم لطفك بأمه يارب. اللهم ارزقها الصبر على فقدان فلذة كبدها". مثلها دمعت عين زوجتي و عيني ونحن نتأمل سعادة خالد.

تذكرت قطعة الأرض التي اشتريتها قرب الواد ورسمت بيوتها وحديقتها على ذوقي. كانت زوجتي قد عادت للمطبخ ووالدتي قد حملت سبحتها لتتم أذكارها، بينما ولجت غرفتي و أنا أردد:

"لن أبني حلمي على حافة الوادي..."

"صراع ذبابتين"

دار دورة كاملة على الكرسي ثم رفع مرآة صغيرة بعد أن سحبها من درج مكتبه :

- "سأبني إمبراطوريتي وأوسع قليلا من مساحتها".

طرق على الباب، و فراشة على استحياء دخلت ترتدي قوس قزح. طلبت بعد إلقاء التحية على رئيس الذباب الأخضر أن يوقع عقد عمل لها، فهي ذات كفاءة سبق وأن أثبتتها بمؤسسته، عفوا مملكته، فراحت تعرض سيرتها و الوظائف التي شغلتها، أهمها اعتناؤها بنقل حبات الطلع بغية التلقيح، وبالمساهمة في التوازن البيئي وغيرها.

نظر إليها منبهرا في سره ناقما في علنه، وبنبرة حادة أجاب:

-"لا نحتاج ألوانك الزاهية ولا خفّتك، هنا لا وجود سوى للون الذباب، وأنت لم تنالي بعد هذا الشرف".

طأطأت رأسها، حملت وريقاتها منسحبة بحثا عن مؤسسة أخرى تستقبل الربيع. كانت ذبابة زرقاء يسابقها بطنها الممتلئ من جثث المقابر، تقف خلف الباب ملتصقة، لاشك تسترق السمع أوراقها الصفراء المطوية بعشوائية تندس بكفها. سفرت عنها ابتسامة صفراء ساخرة حين رأتها تعبر حزينة، بينما دفعت برجلها

باب الرئيس، سلمت بحرارة وولاء، وكادت أن تخر مغشيا عليها من شدة السجود . بمكر ابتسم رئيس الذباب الأخضر قائلا:

-" أهلا ومرحبا بالضيف الذي حل".

وقّع تلك الأوراق الصفراء المكدسة وهو يصافحها بخبث حين خرجت الذبابة الزرقاء المتحاذقة كان رئيسها قد أمر حراس البوابة بتلفيق تهمة ما قبل أن تعبر البوابة. بينما الذبابة الزرقاء كانت هي الأخرى تفكر في طريقة تزيح بها رئيس الذباب الأخضر... استلت هاتفها من جيب سروالها الضيق وبمكر قالت :

- ألو... شرطة النظافة؟ هناك ذبابة خضراء سمينة تقتات من جثة سلطانكم .. أووو ... ماذا؟ العنوان؟ لحظة...سجل عندك..... مؤسسة....."،ثم أقفلت الخط.

وقبل أن تعبر البوابة الخضراء أوقفها شرطي النظافة مادا يده نحو حقيبة يدها ليبعثر كيس الكِيف الذي وضعه بدهاء وغدر مدير مؤسسة يسيرها بالمزاج وبالكيف.

"ألبوم صور"

لا تنتظر معروفا من أحد، أو شفقة ، لا تحكي لأحد أوجاعك، ضم قلبك إليك واهمس له في هدوء :"نحن معا، سنواجه جبروت أصحاب الرياء وقسوة البشر". لا تعود نفسك على تبرير غيابك أو عدم ردك على الهاتف، لأنك حر بتصرفاتك، تجيب متى تشاء وتغلق الخط متى تشاء أيضا. دع تفاصيلك الصغيرة لك وحدك

موعد قهوتك، ساعة نومك، لونك المفضل، أكلتك المحببة لنفسك، هداياك التي أحببتها، كلها اجعلها من الخصوصيات التي لا تستباح للجميع، فقط لشخص واحد ترى فيه ذاتك وروحك ووجدانك.

اهرب بقلبك حين يشتد عليك الوجع، بدلا من أن تظهره وناج ربك كلما ضاقت بك السبل وشعرت بالعجز، سيفهمك الله مهما كانت كلماتك مبعثرة وسيستجيب لك كلما أيقنت وألححت في المناجاة .

تعلم ألا تدير ظهرك لمن يحتاجك، ولا أن تشيح بوجهك عن إنسان أحبك بصدق. فالصدق صار عملة نادرة نفتش عنها كقطعة أثرية مفقودة تعود لآلاف السنين.

سيمر بك قطار العمر، عشرينياتك، ثلاثينياتك، أربعينياتك لتجد نفسك قد تغيرت تماما وتنازلت عن الكثير من المسلمات في حياتك، ستحس بالرضا رغم كل العقبات، وتحس براحة النفس رغم كل التقلبات بمزاجك، وتحس بطمأنينة مصدرها استفادتك من كل ما مر بك، ومعك، ومن حولك. وحين تفتح ألبوم الصور تتداعى أمامك الأحداث؛ طفولة مشاغبة عشتها غير آبه للمستقبل، حاضرك فيه كان أولى، تخرج بسروال رث ممزق الركبتين وقد ظهرت خيوطه التي حاولت تجميع أجزائه، وبيدك

قطعة خبز لا يهمك ذوقها بقدر ما يهمك مشاركتها مع أبناء الجيران، وأنت بخفة روحك تنادي على الأصدقاء:

"تعالوا، سأريكم لعبتي الجديدة التي صنعتها أمي".

تلك اللعبة التي لم تكن سوى قارورة مقطوعة الجزء الأخير وقد تم قصها على شكل مروحة مثقوبة في الوسط لأجل أن يشدها سلك صغير.

صور أخرى من الطفولة وأنت جالس على أرضية الساحة بانتظام مع بقية التلاميذ، وقد وقفت المعلمة بشموخ وسطكم شعرها المنسدل على كتفيها والمتوج قليلا يميزها عن باقي المعلمات وابتسامتها الرقيقة التي كانت تستقبلكم بها كل صباح.

تقلب الألبوم، صور الصديقات المشاكسات أيام الثانوية يوم كانت الواحدة منهن تستشير صديقاتها قبل أن تكتب رسالة غرامية لطالب يشاركها الطاولة، فتعتاد طباعه وتحفظ ملابسه و أدواته وعاداته، بل تحفظ حتى طريقة مسكه للقلم، وتظن أن ذلك التعلق يدعى حبا. تتذكر رهانات أصدقائك حول أجمل بنت في الحي، من يستطيع إرسال رسالة لها ويظفر منها بجواب يكون البطل، ويستحق أن يتحلق حوله الأصدقاء ، يستشيرونه في كل المسائل العاطفية كأنه قيس زمانه.

تتذكر أستاذة اللغة العربية الخجولة التي كانت وجنتاها تحمر كلما واجهت موقفا محرجا... كثيرة هي الصور... فرح نجاح بالبكالوريا فرح الولوج لعالم آخر أكثر اتساعا وتجربة، حياة الجامعة التي نعيشها بكثير من الاندفاع والتمرد، ظنا منا أننا نعاني كبتا وتسلطا اجتماعيين، فنتعرف على أشخاص جدد وندرك أن ما كان من علاقات بالثانوية إنما كان فقط بداية اكتشاف للطرف الآخر، فنحب مرة أخرى، لكن بمزاج مختلف وبتفكير مختلف أيضا.

الحياة في الجامعة هي النقطة الفعلية التي تتحول فيها حياتنا، هي الفيصل بين شخصيتين، شخصية بريئة بسيطة وشخصية قوية ثائرة، حتى ذلك الذي أخفق في الالتحاق بالجامعة، سوف تعلمه الحياة المهنية كيف يواجه، كيف يتعلم فنون التواصل، كيف يقتنص فرص العمل وكيف يحافظ عليها مهما كان أجرها زهيدا .

الغريب في الذكريات وفي أمر الصور، هو أننا نلتقطها في المناسبات السعيدة فقط، لتصبح بعد ذلك هي سبب شقائنا وألمنا، ومدى تعاستنا بعدها وحزننا إنما يقاس بمدى فرحنا وسعادتنا لحظة التقاط تلك الصور نفسها.

عادت إلي ملاك مرة أخرى بين يديها صورة أمها تحملها يوم كانت رضيعة. ابتسمتْ للتذكار بينما عيناها بكت بحرقة اليتيم رحيلها، ضممتها لصدري قائلة :

-" لا تنفخي في الرماد عزيزتي، دعي نارها تخبو في صمت،لا تشعليها. ولا تقلبي كثيرا ألبوم الصور".

" رجل من ورق"

وحين تفرش الطريق أمامك ورودا.. لا تفكر لماذا فعلَتْ؟
ولا لأجل من نُثرت؟ .. فقط سر بهدوء إلى حيث يجلس
حلمك بانتظارك.. وستكون أنت وقلبك بخير...

اقترب الموعد، قلبها يسابق الساعة. تحاول أن تزيل مسحة خجل اعترت وجنتيها بعدما رن هاتفها باسمه. كانت تحس كأن الجميع يرى فرحها. وأن حبها له يزينها أنّى ذهبت. أجابه قلبها على متن شوق:

-"ألو..." ، وقبل أن تكمل سألها:

-"هل أنهيت عملك؟".

أجابت بأنها للتو خرجت، ثم أتفقا أن يأتي إليها بمقر عملها ويذهبا سويا للمحطة.

بارتباك أغلقت هاتف الشوق، تحاول ترتيب هندامها لتنتظره عند مدخل المؤسسة. تلك البوابة التي - قبله - لم تنتبه للونها ولا لشكلها. اليوم تعرف أنه سيراها ولعلها لهذا السبب تمنت أن تليق به، تماما كمكتبه الذي أغراها بترتيبه الهادئ وتفاصيله. لكأنه طبع مثله على الهدوء.

لحظات وهاتفها يرن، كان قد وصل رفقة سيارة الأجرة، لمحها بالبوابة تنتظر شغفه وجنون حرفه. شعرت لحظتها أن ما بينهما أكبر من أن تصفه بكلام، لذلك اكتفت بالصمت واحترمت كونها امرأته، حتى وإن كان رجلا من ورق.

صعدت السيارة بفرح غامر ، لا أروع من رؤية قلب يرفرف بجناحيه ليصل إليك حاملا رسالة بحروف من حلم جميل وحقيقة أجمل.. وقصة أروع من قصص شهرزاد جميعها .

وصلا المحطة، هذه المرة خطواتها تناسقت وخطواته. لم يقلقها ازدحام الركاب أمام شباك التذاكر، فتذكرتها كانت عنده. ولا أربكها تأخر موعد الحافلة، وحده موعدها معه ظل يحملها على النسيان... نسيان كل أولئك البشر... حتى باتت تراها خارج دائرتهم جميعا.

وحدها وإياه كانا يرسمان بفرشاة الشوق لوحة تليق بخطواتهما وينتقيان بكل ثقة ألوانا تبتهج لها نظرة من الروح.

جلس قربها، كان يدرك أن وقوفه أمام شباك التذاكر في تلك اللحظة وأمام ذاك العدد الهائل لاشك لن يمنحهما فرصة تجاور الكراسي، لذلك جلس بجانبها. بنظرة منه اهتز عرش حنينها فهربت نظرها إلى حيث جمع الركاب، حذرته مبتسمة:

-"لا ترمقني بهاته النظرة ... إنك تربك دهشتي...".

ضحك على جملتها الأخيرة، ثم عاد فوقف مع الجمع الذي كان قد قلّ بعد وصول أول حافلة امتلأت عن آخرها بانتظار الحافلة التالية.

أنيقة رجولته وهي تراه يحجز لتلك المرأة التي لم يرض لها بأن تتوغل أكثر داخل جمع من الرجال والنساء. كانت قبل وجوده بحياتها رفيقتها بالسفر. ذهبا باتجاه الحافلة تلفهما هالة من وجع. لم يكن ليحسه غيرهما. وبالقلب ألف رغبة قدماها قربانا للصمت وللورع.

أي سحر تملكه عيناه حتى يأسرها دون سابق تمرد، ويعبث بكل حواسها ، فلا تجد منه مهربا إلا إليه؟ أي حب ذاك الذي لوّح لها... طوق عالمها، فباتت ترفض أن تخرج من دائرة حدائقه وأن تموت في أسواره وأسره... وفي النهاية لا تنجب منه إلا الكلمات... كلمات تحمّص بُنّها على نار انتظارها... ليرتشف هو ما تبقى من عصارة الحروف.

لغز في كل الاحتمالات ... هو... وامرأة على أصابع لهفة وشوق -خلسة- إليه أتت مستعطفة:

"دثرني بك يا كليّ، ودعني أعجن من كفك خيوط شمس أُحيك بها حكايتنا الغريبة ثم ألقيها دروس حب بمحاضراتي".

كانت تجلس بقربه.. وما شعرت بالأرض فقط تدور حولها، كل الأشياء صارت تدور وتدور.. ووحده هو من ظل يجلس قربها بثبات كانت بداخلها تصرخ من أعماقها أن "ضمّ حزني إليك... ضمه كما لم تفعل من قبل.. وكما لن تفعل من بعد. ضمّ هذه الروح... وهذا القلب... وهذا العالم الذي أتاك مشيا على الشوق، منتعلا كل السعادة لرؤيتك أيها الفارس الذي خلته يوما ما بطوليا فلم يكن أكثر من فقاعة نفختها بيدي على حين غفلة ورجلا من ورق حين أوشكت الوصول إلى عالمه احترق".

توقفت الحافلة، راحت تفتش عنه بين الركاب، لا وجود لطيفه ولا أثر، التفتت إلى الكرسي المجاور الذي جلس عليه طوال الرحلة، كان فارغا إلا من روايتها التي أنهتها واستلمت أول نسخة منها اليوم.

هزتها يد من خلفها بأدب:

- "رجاء اختي أفسحي لنا الطريق لننزل".

"هذه الصُّدفة... أو... تلك..."

صُدفة قد تغيّر تاريخنا، وصدفةٌ أخرى تعيد بناءه من جديد لكن الأجمل، أن نصنع من صُدفنا الحزينة، بدايةً جميلة، لتاريخ سعيد، نكتبه بنبض قلوبنا فيُورق -رغم الحزن- ورود مَحبّة. إنها هذه الصّدفة أو... تلك...

هناك يوم في حياتنا يفصل بين زمنين، يوم ننتظره لمناسبة وربما بلا مناسبة؛ قد تأتي صدفةٌ ما، فتجعل من الزمن الذي قبلها ذكرى جميلة، كانت نهايتُها موقّعة بهذا اليوم. أو تجعلها ذكرى حزينة نطويها على عجل. هناك طُرق تؤدي لمن نكره وأخرى توصلنا لمن نحب. قد نصادف قلوباً تبتسم في كل مناسبة، وحتى أحيانا بلا مناسبة، فنغبطها على ذلك دون أن ندري بأنها بارعةٌ في التّقمص، فلا شيء داخلها يشبه تلك الابتسامة. وقد نصادف أيضا قلبا لا يبتسم، فنشفق عليه ظناّ منّا أن مكروها أصابه. نتخلى عن كرامتنا طمعاً ورغبةً في مساعدته،فنكتشف في النهاية أن حالَه أفضل بكثير من حالِنا، وأنه إنما عبس فقط... لِتَعبه من الابتسام.

نمرّ يومياً على عشراتِ النوافذ، دون أن ندرك حقا ما تعنيه هذه النافذة أو تلك، لرجل مُسنّ يعجز عن الحركة، فيُبحر في ذكرياته من خلالها، أو كيف يستميتُ سجينٌ لأجل أن تُفتح

النافذة الوحيدة بالسّقف ولو بمقدار سنتيم واحد، يرى من خلاله زرقة الحرية، ولا ندري عن شابٍ في عمر الزهور، ممددٍ على سرير الحسرة، بعد أن اقتنع أخيرا أنه فقد ساقه بسبب تهوره و إفراطه في السرعة، يرقب من خلال نافذته تعاقب الأيام، دون أن يجد بروحه الحماس الذي كان. أو نافذة لغرفة فتاة حالمة،تُشرعها كل ليلة، راسمةً على النجوم المطلّة فارساً ... تُرسل إليه خِلسةً عِطر قُبل...

إنها هذه النافذة المغلقة أو ... تلك. تُخفي الكثير من أسرار هذا الكون. الحياة تمضي.. يومٌ وآخر ... دون أن نحسّ الفارق إلا بوجود تلك الأحداث المصيرية في حياتنا... وتلك الصّدف. بعدها نبدأ العدّ انطلاقا من ذلك التاريخ.

كان لابد لنا أن نتغير بسبب صدفة . وكان لابد أيضا أن تكون تلك الصدفةُ ذاتُها التي كسرتنا ... بدايةً لحياة أجمل وصُدَفٍ أروع... لذلك... أحِبُّوا تلك الصُّدف ... وتفاءلوا بها مهما كانت... حتى وإن سبّبت لنا ألما، فقد تكون تلك اللحظة هي نهايةُ الألم ونقطةٌ لإعادة التفكير من جديد لكلّ ما كُسِر فينا.

فليست كل نقطة بحياتنا ... نهاية... قد تكون تلك النقطة... نهاية لحزن ما وإعلانا بقدوم أجملِ بداية...

إنها.... هذه الصّدفة... أو ... تلك...

"عواطف تحت الضغط"

"الحب الخطأ يكسر فينا أشياء كثيرة، أشياء جميلة أحببناها حد الضياع وألفنا أصغر تفاصيلها، أشياء صعب جدا ترميمها أو إعادتها لأول عهدها. تماما كالزمن إذا مر يستحيل أن يعود من جديد. هو الحب الخطأ، أو الأصح حب الشخص الخطأ.

رغم ذلك نجمع أشلاءنا لنرحل بهدوء وكلنا أمل في أن نولد مرة أخرى بحضن قلوب أكثر احتواء وصدقا. قلوب تنير عتمة ظلامنا كي نسير بخطوات ثابتة. وأن نعيش الفرح بعمق وكأننا ما حزننا يوما.. تماما كذلك الحب الذي أهديتنيه، فوهبتني حياة أخرى أجمل رغم مرارة أيامي وقسوتها"

أربكتني هذه الرسالة التي تسللت إلى محفظتي دون اسم واضح عدا توقيع مبهم ورقم هاتف مدون بعجالة وبخط مختلف عن خط الرسالة. أعدت الورقة إلى محفظتي ورحت أبعثر أوراق المحاضرة كعادتي قبل الشروع فيها . الجو خريفي، والحركة بالخارج تقطع بين الفينة والأخرى خشوعنا داخل المدرج. مضت الساعة ونصف كنت نسيت فيها أمر تلك الرسالة وأنا أجمع ما تبقى من أوراق لأهم بالخروج، متجهة دون شعور نحوها قبل أن أتذكر فأغير وجهتي نحو باب الخروج.

بدا موحشا كرسيها الفارغ بالمدرج، غاب صوتها اليوم ونشاطها الذي أحبه كلما تعلق الأمر بشعراء العصر الجاهلي، وجدتها بكل عفويتها تردد على مسامعنا ما تحفظه من أبيات تارة وأخرى تستفسر عن بيت أو شاعر. اليوم لاشيء من هذا كله، أياد خجولة تسأل أو تجيب، ووحدي كنت أفتش بين الحين والحين عن بقايا منها، من خجلها الموشح بالأخلاق .وصوتها يملأ أركان المدرج.

لمست أوراقي أهم بالخروج وشيء من الفضول يراودني لأسأل صديقتها عنها. نظرت إليها لكني لم أقل شيئا، اكتفيت بابتسامة تحية ثم خرجت أجر أسئلتي التي تمادت فيما يمكن أن يكون قد حصل لسليمة .متعبة هي الحياة حين نجدف على اليابسة وكل أملنا هو الوصول بسلام. سليمة لم تأت اليوم، ولم تأت الاسبوع الماضي ولا قبله. قلقت عليها فليس من عادتها أن تغيب عن المحاضرات.

تذكرت الرقم المدون بالرسالة، اتصلت فأجاب الصوت بعد أن سألت من؟ ليسأل عن مكاني الآن،لم أكد أنهي المكالمة حتى ناداني صوت خافت قادم من الخلف قطع كل شرودي :

-" أنا هنا أستاذة ".

التفتُ، لتضيف:

-"السلام عليكم، رجاء أستاذة أحتاجك في أمر".

كانت صاحبة الرقم إذن صديقتها التي لم تفارقها، لا في الجامعة ولا خارجها. اتجهنا لقاعة فارغة، في حركة سريعة قربتْ الكرسي الى الطاولة وجلست بعد أن آذنت لها بالجلوس. أنفاسها متقطعة تلتفت يمينا وشمالا كأن عينا تراقبها.

قالت تبتلع غصة بالحلق:

-" سليمة...".

قلت بذعر:

-"ما بها؟ هل هي بخير ؟".

-"زوجها يحبسها بالمنزل، و أتى أول أمس ليوقف مشوارها الجامعي". استغربت:

-" ولمَ يفعل ؟ ألم يكن هذا اتفاقهما ؟؛ ما كانت لتبقى معه وهو عقيم لو لم يقبل بشرطها، كان يدري حتى قبل زواجهما أن أخوها من أجبرها على التخلي عن دراستها وزوجها له بدافع الصداقة ..".

قاطعتني بحسرة:

-" أجل ... وعدها بذلك. بل وقبل الأرض بين يديها لتظل معه. لكنه لم يكن يتوقع أنها ستتفوق وتحب الدراسة بكل ذاك الشغف، شغف من حرم من شيء عزيز ويحاول ألا يضيع منه مرة أخرى بعد حصوله عليه".

تملكني الغضب حينها، من أولئك الرجال الذين بدلا من مباركة طموح زوجاتهن، يقفن في وسط الطريق كحفر بلا تنبيهات مسبقة. تماما كالذين يلعنون العاملات علنا، ثم يفتشون في نهاية المطاف عن عاملة لأجل الزواج.

كانت صديقتها تحكي وقلبي يمتزق حزنا، فأنا أدري أن سليمة وعلى الرغم من زواجها الذي أُجبرت عليه، إلا أنها أحبت زوجها فيما بعد رغم أنانيته المفرطة. كم مرة جالستها بمقهى الجامعة في سويعات انتظارنا المحاضرات. سويعات كنا نرتشف فيها مُر الحياة، فلا نخرج إلا بعد أن نحلّيها بآمال كبيرة كبر طموحنا ونعود بروح أخف وعزيمة أقوى .

ولأننا كنا بنفس السن أنا وسليمة لم نكن نجد حرجا في الحديث، مثلها كنت أنفث ما بين الحين والحين وجعي وقلة حيلتي. دمعة ألم سقطت قهرا على يدي الممدودة بلا هدف فوق الطاولة لملمتها بحياء واستأذنت في الخروج بعدما وعدتني بأن تسلم رقمي لسليمة .

ودعت الجامعة التي كانت تشرع بوابتها لوفود الطلبة، تبتلعهم دفعات داخل أسوارها أو تقذف بهم خارجها، أمشي على خطوات قلقي حاملة وجع سليمة ووجعي لأنثره عبرات التقطتها الرياح الباردة التي لم تكن تعنيها آلامي. رفعت كمامتي أداري ما فضحته ملامحي، أحيي من كان يمر علي من الطلبة فلا يدرون أمر تلك

الدموع أهي تداعب الريح أم هي عذاب من الروح تلفظها لتستريح؟!

لم تتصل سليمة، ولا رأيت بعد ذلك اليوم صديقة سليمة لأعيش أياما وشهورا، بل سنوات على احتمالات واردة، فلا أصل في النهاية إلى شيء، كالعدد صفر يمتص كل الأرقام التي تحاول ضربه ليظل شامخا. وحدها رسالتها التي وضعتها صديقتها بمحفظتي صارت ترافقني، أطالعها كلما وقع نظري عليها أثناء تحضيري للمحاضرات أو انتهائي منها.

سنوات مرت شغلني فيها روتين الحياة عن قصة سليمة سافرت كثيرا بعدها إلى ملتقيات عدة، وفي آخر زيارة لأرض الأهرامات، حضرت فيها ملتقى الإبداع الأدبي، وبعد انتهائي من قراءة مختارات مجموعتي القصصية الجديدة، تقدمت أستاذة باحثة يظهر أنها من إحدى جامعات مصر العريقة، مبتسمة صعدت المنصة توقعتها ستعقب على قصصي، لكنها قالت:

-" إن الكاتبة الماثلة أمامكم كانت السبب وراء وصولي إلى هنا لم أتوقع يوما أني سأعتلي هذه المنصة، أشرح، أعقب، أناقش في أمور الأدب والإبداع، لكنها استطاعت بعد المولى عز وجل أن تمنحني دفقة محبة صادقة، وتحلق برغباتي وطموحي عاليا..".

لم أكن قد فهمت منها شيئا، ولا عرفت من تكون، راحت تتحدث عني وكأنني بطلة حتى ظننتني لا أعرف نفسي، ثم ختمت قولها برسالة تلتها على مسامعنا:

-"الحب الخطأ يكسر فينا أشياء كثيرة، أشياء جميلة أحببناها حد الضياع وألفنا أصغر تفاصيلها، أشياء صعب جدا ترميمها أو إعادتها لأول عهدها. تماما كالزمن إذا مر يستحيل أن يعود من جديد. هو الحب الخطأ، أو الأصح حب الشخص الخطأ.

رغم ذلك نجمع أشلاءنا لنرحل بهدوء وكلنا أمل في أن نولد مرة أخرى بحضن قلوب أكثر احتواء وصدقا. قلوب تنير عتمة ظلامنا كي نسير بخطوات ثابتة. وأن نعيش الفرح بعمق وكأننا ما حزننا يوما.. تماما كذلك الحب الذي أهديتنيه، فوهبتني حياة أخرى أجمل رغم مرارة أيامي وقسوتها"

أضافت وقد فاضت عيناها كما عيني دمعا:

-" كنت أنت ذلك الحب الذي صحح الخاطئ منه، كنت تلك القدوة التي حملتُ شعلتها بقلبي ورحت كلما انتابني اليأس والقنوط من الدراسة، أتذكر كيف كنت تواجهين الصعاب تبتسمين لنا رغم الوجع الذي كان يمزق قلبك، تحبيننا رغم الخيبات التي نفثتها روحك كلما اختليت بنفسك فنباغتك أحيانا توارين دمعات مدعية أنها نزلة برد، تنصحيننا بالتفاؤل وحب الحياة رغم أن لا شيء في حياتك كان مبهجا لتحبيه، حتى الوظيفة

التي كنت تستحقينها استكثرتها عليك الجامعة، كنا نخجل كلما رأيناك تصطفين معنا بشباك تذاكر الحافلة لتحصلي بشق الأنفس على تذكرة سفر، أو كلما اكتفيت بقارورة ماء صغيرة تبلل ريقك طيلة اليوم حفاظا على مبلغ تذكرة العودة ومصاريف سيارات الأجرة، كنا نراك بابتسامتك التي لا تفارقك ونحن ندعو الله أن يخفف عنك ويسعدك، وندرك في سرنا كما العلن أنك عالم عواطف نبيلة صادقة تعيش تحت الضغط، لكنها لا تنفجر أو تثور وإنما بصمت تزهر، فصرنا مثلك في أحلك أيامنا وأقساها نتذكرك...فننمو وكما الربيع بمحبة نزهر.

"شهيد"

بفرح فرشت الغرفة ورودا، و بزهو استمتعت بطلقات بارود خالته لموكب زفافها، حين استفاقت كان المستلقي أمامها مغطى بكوفية وأصوات وزغاريد في حزن وفرح تردد: "لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله".

***

"نفاق"

عقدوا اجتماع الوحدة؛ فرقتهم المصالح.

عناوين القصص

- قلة حياء
-وردة بلا أوراق
-طوق المحبة
-صباحك سكر
-إني وضعتها أنثى
- ربطة عنق
-روتين
- المادة 64
-نوايا
- حلم في مهب الريح
مسألة جمال
- رسالة إلى صديقي
- على حافة الوادي
- صراع ذبابتين
- ألبوم صور
- رجل من ورق
- هذه الصدفة أو تلك

-عواطف تحت الضغط

- شهيد

-نفاق